























# حدث الصبا

## دمعة حارة

عبد الكريم الناعم

كنتُ وحدي، فسيّدة البيت تخرج لقضاء حاجاتها، وقد أبتعتُ على الوحدة التي يؤنسني فيها الكتاب، فاللبيسيوك لم اسمع له إن يأخذ من وقتٍ ما يمكن أن يبيّد هذا الوقت، فانا أستخدمنه على طريقة أن يكون هو في خدمتي، لأن أكون في خدمته، فتحت شاشة التلفاز، وفاجئني من إحدى المطابع المتخصصة بـ“الأخبار المكتوبة لا غير، صوت انغرس يعمق في الداخل، كان صوتاً شبابياً مشحوناً بالشجن، وهو يغنى “السوبيولي”， ذلك الغناء الذي لا أعرف من ابتدأ بهدا القدر من الحزن، والحنان، والجرح، شيء ما يغل في الداخل، دافناً، مشحونة باللّؤلؤ، حضرت المساحات الشاسعة من تلك البوادي، وبوبت الشعر، والتلهة المرة، وجّهت الرياح، والأشواق التي لا نعرف لها محطة.. الأشواق التي تبدأ كي لا تنتهي، الأصوات الحنون العذبة، الكلمات بمنطق لهجتها البدوية، قصص الوفاء، والحب، والحنين أبداً إلى ما لا يطأط، وفجأة وجدت نفسى أجلس ويلهمس المَعْمَ، عرفت معنى أن الدمعة إذا أخذت مرجهاً قد تضليل على شوالٍ تنهي ترثي بعض الشيء، في هذه اللحظة سمعت نقرة على الباب، فسمحت دعوي بسرعة، فانا أحب أن أبكى نفسي فقط، أما إذا كانت لدى أفراد، أو أطيفاف بهذه فسعادتي لا تكتمل إلا إذا شرك الآخرين فيها، فتحت الباب، كان (هو) الذي يزورني بين حين وأخر، لم يسرعه أثر بقائي الدمع في عيني، فنفر، وذهب لون وجهه إلى الامتناع، وقال باهتمام: الله يعطيكما خيرك، ما أثر هذا الدمع، دون قصد مسحت بقية، وطمأنته بأن لا شيء يستحق الذكر، فانتقض في وجهي وقال: أنت تبكي، ولا شيء يستحق الذكر، تفضل اعربيها، كاد الدمع أن ينبع ففجعه، وشرح له حقيقة الموقف، قال متهدأ: حليت ركبي يارجل، أما زال بيكم هذا الغناء؟!.

قلت: لا أدرى، أول ما طرق سمعي ذلك الصوت الحنون، العميق الأسى، اندفع الدمع إلى عيني قال: يقولون إن دمعة الحزن تنسك حادة، حارقة، أمّا دمعة بكاء الفرح، فتكتون باردة لطيفة..

قلت: قياساً على هذه المقوله فانا لم أعرف إلا الدمع الحار..

قال: تحنّن نعرف أنك بكاء، وأن المواقف الإنسانية ابتكّنا إمامنا أكثر من مرة، وكمن سهرة كانت عامرة بالوسيقة، والغناء، والعزف الحنون، والشاعر الافتنة.. كان قمة انتشارك بها البكاء..

قلت: أنا لا أدخل من الدمع حين يطفو، فله مسبّباته، والغرب أن الكثرين يرون في ذلك حالة من حالات الضعف، أمّا أنا فاجد فيها استجابة طبيعية لحظة صادقة..

قال: تحنّن في أزمنة أرجو لا يكثر فيها بكاؤك..

قلت: آزمنة الانتصار تنسكك الكثير من الجراح..